سيميوطيقا الأطلال
انسياق الثقافة في الخطاب الشعري

د. إسماعيل إبراهيم مصطفى
البرزنجي
كلية اللغات / جامعة السليمانية

بِسْمِ اللهِ الرَحْمَنْ الرَحِيمْ

مَدخَل

تُشكِّل الأطلالُ علامةً خِطابيةً بارزةً دَاخلَ القَصيدةِ الجَاهليةِ لَها بُعدُها الثَّقافي، لأنَّ الثَّقافةَ هي الآليةُ التي تحوِّل الأشياء إلى ظَواهرَ دالَّة، وتُعطيها سِماتٍ سيميوطقيَّة حَيثُ تسمَح بتأويلاتٍ متعدِّدةٍ، وبِما أن الأطلالَ بُنيةٌ زمَكانيَّة – أي مَكانٌ يشيرُ إلى زَمانٍ – تحوَّلت من الطبيعي إلى الدَّلالي و من بُنيةٍ مُجردةٍ إلى علامة سيميوطيقيَّة، فهي تأخذُ دلالَتها من عُمقِ الثَّقافةِ الجاهليَّة وتُشكِّل عَلاقةً خِطابيَّة تدُلُّ على مُمارسةٍ ثَقافيةٍ قَبْليةٍ، وممَّا يُعضِّد هَذا القَولَ حُضورُها الدَّائمُ في مُستهلِّ القَصيدةِ الجاهليَّة مِمَّا يُكسبُها مَركزيَّةً لاستِقطابِ أفكارٍ ثقافيَّةٍ، حَيثُ تنطَمِر في أوعيةٍ جَماليةٍ وبلاغيَّة.

من هُنا يَسعى الباحِثُ من خِلال هَذا البَحثِ إلى الكَشفِ عن طَبيعةِ العَلاقةِ بينَ الأطلالِ بوصفِها عَلامةً خِطابيَّةً والمَرجِعيةِ الثقافيَّةِ التي تُمِدُّها قُوةً واستِدلالاً، انطِلاقاً من فِكرةِ أنَّ الأنساقَ الثقافِيةَ تنتظِمُ باستِمرارٍ داخِلَ الخِطابِ الشِّعريِّ وتَنساقُ في صُورةِ عَلاماتٍ تَتلبَّس ثَوبَ البلاغَةِ والجَماليَّة.

كما أنَّه يُحاولُ اكتِناهَ النَّسقِ الذي سَمحَ بالأطلالِ أن تُستهَلَّ بِها القَصائدُ وأقرَّ لَها التصدُّرَ، ويَكونُ ذلِكَ من خِلالِ إثارةِ جُملةٍ من الإشكاليات، مِنها إشكاليَّة التَّحولِ من الثقَافِي إلى الخِطَابي، وإشكاليةُ الطُمورِ والتجلِّي، وَإشكَاليَّة الاستِقطَابِ وَالتَّصدُّر.

وفي مُحاولةِ التَّوصُّل إلى نَتيجةٍ مُرضيَة تَمَّت مُعالَجةُ هَذه القَضايا بِمنهَجٍ يَتموقَع بينَ مَجالاتٍ مَعرفيةٍ مُتداخِلةٍ، مِنها النَّقدُ الثَّقافيّ ولِسانيَّات الخِطابِ والسِّيميائيَّة، لأنَّ الأطلالَ بالوَصفِ الَّذي ذُكِر تَنطَوي علَى أبعَادٍ مُتعدِّدةٍ لايُمكِن كَشفُهَا بِمنظُورٍ نَقدي أُحادي، إذاً، جاءَ اجتِماعُ هَذهِ المَجالاتِ فِي مَنهجٍ واحِدٍ لِمقاربَةِ هَذهِ الظَّاهرةِ نَتيجةً لِطَبيعةِ المادَّةِ المَدروسَة التي هِيَ مُعقَّدةُ التَّكوُّنِ، مُتعدِّدةُ الأبعادِ.

(١)
التَّحوُّل مِن الثَّقافي إلى الخِطابِي

إذَا كَانَت المُقدِّمةُ الطَّلليَّةُ تَحفَلُ بِقِسطٍ كَبيرٍ مِن الشِّعريَّة والجَماليةِ دَاخِلَ القَصيدَةِ الجَاهِليَّة في مَنظُورِ النَّقدِ الأدَبيّ، فإنَّها تُشكِّل ظَاهِرةً مُثيرَةً لِجُملةٍ مِنَ التَّساؤلاتِ والإشكَاليَاتِ المَعرِفيَّة، وتَنطَوي عَلى دَلالاتٍ مُتعَدِّدةٍ مِن وِجهَةِ نَظرِ النَّقدِ الثقَافِي، لأنَّها تُشيرُ إلَى الرَّابطِ الخَفِي بَينَ تَجلِّي الرُّموزِ الثَّقافيَّةِ فِي الخِطابِ الشِّعريّ وبَينَ تَداولِ تِلكَ الرُّموزِ فِي الوَاقعِ الثقَافِي، إذْ تَتجسَّدُ هَذهِ الرُّموزُ فِي عَلامَاتٍ لِسانيَّة وهَذهِ العَلاماتُ بِدورِها ((تُمثِّل وِعاءً يَتمثَّل النَّسقَ الثقَافيَّ ويَستَوعِبهُ))[١].

ولا تَأتي أهَميَّة هَذهِ العَلاماتِ فِي انشِحانِها بِشِحنةٍ ثَقافيَّة فَحسب، بَل بتَحوُّلِها مِن مُجرَّد عُنصرٍ طَبيعِيّ إلَى عَلامةٍ دَالَّة، ويَجري هَذا دَاخِلَ حَيِّز الثقَافةِ، فالثَّقافَة هِيَ الَّتي تُعطِي هُويَّة مُعيَّنةً لِلعلامَاتِ وتَجعَلُها تَدُلّ، بِحيثُ ((يُمكِن القَولُ إنَّ مِن آليَّاتِ الثقَافةِ الأَساسيَّةِ تَحويلُ الأشياءِ الطَّبيعيَّة إلى ظَواهِرَ سيميُوطِقيَّة، ولِكُل ثَقافَة نِظامُها السِّيميوطِقي الخَاصُّ، تُحدِّد نَفسَها مِن خِلالِهِ كَما تَحكُمُ عَلى الآخَر))[٢] ، بِهذا تَكُونُ الثقَافةُ الإطَارَ السِّيميائي لإنتَاجِ النُّصوصِ وإعطَاءِ الدَّلالةِ لِلعلامَاتِ بِصُورةٍ عَامَّة.

أمَّا الاختِلافَاتُ الدَّلاليَّة بينَ الرُّموزِ والعَلامَاتِ فَنتيجَةٌ طَبيعيَّةٌ لِتعدُّدِ الثَّقافَاتِ واختِلافِهَا، لأنَّ كُلَّ ثَقافةٍ تَتميَّزُ بِنظَامٍ خَاصٍّ بِها، تُوجَدُ بِهِ وتَتكوَّنُ مِن خِلالِهِ وَمِن ثَمَّ تُنتِجُ الدَّلالَة، وهَذا يُؤدِّي إلَى إبدَاعِ أعدَادٍ مِن النُّصوصِ وتَحويلِ مَا لا حَصرَ لَه مِنَ الأشياءِ الطَّبيعيَّةِ إلَى عَلاماتٍ وظَواهِرَ سِيميوطِقيَّةٍ، ولا يُمكنُ فَهمُ هَذهِ النُّصوصِ وإدرَاكُ هَذه الظَّواهِرِ إلاَّ مِن خِلالِ طُروقٍ ووسَائلَ لِلفهمِ نابِعةٍ مِن الثَّقافةِ التي أبدَعتْهَا.

وَلكِن قَبلَ مُحاوَلةِ الكَشفِ عَن دَلالاتِ (الطَّلل) فِي الخِطابِ الشِّعري، يَنبغِي الرُّجوعُ إلى تَحليلِ المَنظُومةِ الثَّقافيَّة الَّتِي مرَّرت ظَاهِرةَ الطَّلَل إلى الخِطابِ الفَنِّي ضِمنَ أنسَاقٍ خَفيَّةٍ فِي ثَوبٍ جَمالي، وبِما أنَّ الطَّلَل مَوجُودٌ طَبيعيّ قَبلَ تَحوُّلِها إلَى ظَاهِرةٍ ثَقافيَّة لابُدَّ مِن بَيانِ اكتِسابِهَا هَذهِ الشِّحنةَ الثَّقافيَّة، والأهَميَّة التِي جَعلَتها تتصَدَّر أرقَى أنواعِ الخِطاباتِ الجَاهِليَّة، وهُو الخِطابُ الشِّعري، ومِن ضِمنِهِ القَصائدُ الطَّويلَة.

الثَّقافَة بالمَفهُوم التايلوري هِي ((ذَلكَ الكُلُّ المُركَّب الذي يَشمَلُ المَعرِفةَ والعَقائِد والفنَّ والأخلاقَ والقَانونَ والأعرَافَ والقُدُراتِ والعَاداتِ الأُخرى التِي يكتَسبُها الإنسَانُ، بِوصفِهِ عُضواً في المُجتَمعِ))[٣].

إذاً، تَعني الثقَافةُ بالمَعنى العَام نَمطَ الحَياةِ وطُرقَ التَّفكيرِ لمُجتَمعٍ مُعيَّن، وهِي مُركَّبةٌ من عَناصِر مُتعدِّدة وكَثيرةٍ، لكِنَّ الدَّارسينَ يُؤكِّدون نُقطَتين في مَفهومِ الثَّقافةِ هُما:

١. أنَّها مُكتَسبةٌ مِن خلالِ التَّفاعلِ والتواصُلِ الاجتِماعيّ، وتتَّسمُ بالانتِقالِ الجَبري والطَّبيعيّ بينَ أفرادِ المُجتَمعِ مِن خِلال التأثيرِ والتأثُّر.

٢ـ أنَّها مَفهومٌ يَرتبِطُ بالإنسانِ بوَصفِهِ عُضواً فِي المُجتَمع، فَهي التي يَكتسِبُها الإنسانُ عِندَ مُعايَشةِ الآخَرينَ، والاكتِسابُ عَمليَّة مُستمِرَّة بِوعي أو مِن دونِهِ[٤].

وهَذا يَعنِي أنَّ أفرادَ المُجتمَعِ يَتغذَّونَ الثقَافةَ مُنذُ الصِّغَر، ويَصوغونَ أفكارَهم بأساليبَ مُتشابِهة نَتيجةَ تأثُّرهم بالثَّقافةِ، وهِي تَنتقِلُ مِن فَردٍ إلى آخَرَ ومِن جيلٍ إلَى جِيل، وهُم يتصرَّفونَ ويُفكِّرون ويُنتِجونَ بِطُرقٍ مَشابِهة، بِذلِك يَرسُمونَ المَلامِحَ لنَمطِ حَياةٍ مُعيَّنة.

مَادامَ الشُّعراءُ أفرَاداً في مُجتَمعاتِهم لَيسُو خَارِجِينَ عَن هَذهِ القَاعدَةِ، فَهُم يَتأثرُونَ بِثقَافاتِ مُجتَمعاتِهم ويُؤثِّرون، يَتغذَّونَ بالعَاداتِ والتَّقاليدِ السَّائدَة مُنذُ طُفولَتِهم، يَحمِلونَ المُعتَقداتِ المَوجُودةَ ويُمارِسونَ السُّلوكَ الأخلاَقيَّ الذِي يُحدِّدُه لَهم المُجتَمعُ بِوصفِهم أفرَاداً فِيه.

مِن هُنا تَفعَلُ الثقَافةُ فِعلَها فِي الشِّعرِ، وتُمرِّر أنسَاقَها خُفيةً إلى الأدَبِ، حَيثُ يُنتِج الشُّعراءُ قَصائدَهم وَهُم يُؤكِّدونَ مَفاهِيمَ مُعيَّنةً فِي ثَقافةِ مُجتَمعِهم، بِطريقةٍ لا وَاعيَةٍ في أغلَبِ الأحيانِ، أو يَسلُكونَ طَريقاً يَبدو مِن اختِيارِهم، لكِنَّه مُحدَّد لَهم مُسبَقاً عَلى وِفقِ مُعطَياتِ

الثَّقافةِ، والشَّاعِر الجَاهليّ كانَ فَرداً فِي مُجتَمعِهِ لَم يَشذَّ عَن هَذهِ القَاعِدة، بَل كانَ أكثَرَ تَمسُّكاً بثَقافتِهِ الجَاهليَّةِ.

قُلنَا إنَّ الثَّقافةَ هِي التِي تُعطِي المَعانيَ لِلأشيَاءِ الطَّبيعيَّة وتُحدِّد الإطَارَ الدَّلاليَّ لَها، تُحوِّلُ الأشيَاءَ إلَى عَلامَاتٍ دَالَّة وظَواهِرَ تُقرأُ، ومِن بَينِ هَذهِ الأشيَاء الزَّمانُ والمَكانُ، فَكلٌّ مِن الزَّمانِ والمَكانِ مِن حَيثُ كَونُهُ شَيئاً طَبيعياً لَيسَ لَه دَلالةٌ، السَّاعاتُ والأيَّامُ والأسابيعُ والشُّهورُ والسَّنَواتُ مُتسَاويةٌ فِيزيائيًا، لكِنَّ يَومَ الجُمُعة وأيَّامَ الأعيادِ يأخُذ تَميُّزاً بَينَ باقِي الأيَّامِ، وشَهرُ رَمضَانَ لَه خُصوصيَّة مُقارَنةً بالشُّهورِ الأُخرَى، والسَّنةُ التِي هَاجرَ فِيها الرَّسولُ (صلى الله عليه وسلم) كوَّنتِ الأسَاسَ للتَّأريخِ الهِجري، هَذهِ الخُصوصِيّات جَاءَت نَتيجةَ دُخولِ الزَّمنِ إلَى إطَارِ الثقَافةِ الإسلاَميَّة، أمَّا هَذهِ الأزمِنةُ فلاَ تدُلُّ عَلى شَيء فِي الثقَافتَينِ اليَهوديَّة والنَّصرانيَّة، بل تُعلِيان أزمِنةً أُخرى.

وكَذلِك المَكانُ عِندَ دُخولِه ثَقافةً مُعيَّنةً يأخُذ أبعاداً دَلاليَّة لَم تَكُن مَوجودةً، هُناكَ مَكانٌ خاصٌّ ومَكانٌ عامٌّ، أماكِنُ مُقدَّسةٌ دينياً وأُخرَى إنسَانيَّة، أمَاكنُ مُعاديَة وأليفةٌ،....إلخ، هَذهِ الخُصوصِياتُ لِمكانٍ دونَ آخَر تأتِي مِنَ الثقَافة، لكِنَّ فارِقاً جَوهَرياً ((يُميِّز بَينَ المَكانِ والزَّمانِ، فالتَّفاعُل الذِي يَحدُث بَينَ البَشَر والمَكانِ لا يَحدُث بَينَهم وبَينَ الزَّمانِ، فالزَّمانُ قُوةٌ مُتحَكِّمة فِي البَشَر يَسيرُ فِي مَجرَاه دونَ أن يَقدِروا عَلى إيقَافِ حَرَكتِهِ الدَّائبةِ، كَما لا يَستَطيعونَ العَودةَ إلَى المَاضِي أو القَفزَ إلَى المُستَقبلِ))[٥]، أمَّا المَكانُ فَغيرُ ذَلِك يُدرِكه الإنسَانُ مُباشَرةً ويُسيطِر عَليهِ، ومَتى شَاءَ يَستطِيعُ الرُّجوعَ إلَيهِ، أو مُغادَرتَه[٦]، بِصورةٍ عامَّة نَستَطيعُ القَولَ إنَّ الإنسَانَ مُسيطِرٌ عَلى المَكانِ ومُتحكِّم بِهِ، لكِنَّ الزَّمانَ هُو القُوَّة المُتحكِّمةُ بِالإنسَانِ وهُو المُسيطِرُ عَليهِ.

وإذَا عُدنَا إلى الثَّقافةِ الجَاهليَّة فإنَّها كَانَت تَخطُّ حُدوداً دَلاليَّة حَولَ أمَاكِنَ مُعيَّنةٍ، وتُعطِي بَعضَ الأزمِنةِ تَميُّزاً وخُصوصيَّة، مِنهَا ((اختِصاصُ كلِّ جَماعَةٍ أبَويَّة بِمكانٍ مُحدَّد تَنتَمي إلَيهِ))[٧]، ومِن ذَلكَ قَولُ الأخنَسِ بنِ شِهابٍ التَّغلِبي في اختِصاصِ كلِّ طَائفةٍ كَبيرَةٍ مِن مَعَدٍّ بِناحيةٍ تأوي إلَيهَا (مِن الطَّوِيلِ):

لِكُلِّ أُنَاسٍ، مِنْ مَعَدٍّ، عِمَارَةٍ ... عَرُوضُ، إلَيهَا يَلجَؤُونَ، وَجَانِبُ
لُكَيزٌ لَهَا البَحْرَانِ وَالسَّيفُ كُلُّهُ ... وَإنْ يَأتِهَا بَأس مِنَ الهِنْدِ كَارِبُ

وَبَكْـرٌ لَهَـا ظَهْـرُ العِـرَاقِ، وَإِنْ تَشَـأ ... يَحُـلْ دُونَهَـا مِـنَ اليَمَامَـةِ، حَاجِـبُ
وَصَـارَتْ تَمِـيمُ بَـيْنَ قُـفٍّ وَرَمْلَـةٍ ... لَهَـا مِـن جِبَـالٍ، مُنْتَـأىً وَمَـذَّاهِبُ
وَغَـارَتْ إِيَـادٌ فِـي السَّـوَادِ وَدُونَهَـا ... بَرَازِيـقُ عُجْـمٌ تَبْتَغِـي مَـن تُضَـارِبُ[٨]

وَعُرِفَ الانتِسابُ إلى المَكانِ في الجَزيرةِ العَربيَّة عِندَ القَبائِل والأفرَادِ، حَتى جَرَى تَقسِيمُ الأشخَاصِ تَبَعاً لمَكانِ استِقرارِهِ أو وِلادَتِه، وكَانَ للقُربِ والبُعدِ المَكانيِّين دَورٌ فِي تَمتينِ العَلاقةِ الإنسَانيَّة وتَفكِيكِهَا، أوَ لَيستِ الأطلالُ دَليلاً علَى وُجودِ عَلاقةٍ عَاطِفيَّة بَينَ الشَّاعرِ وحَبيبَتِهِ نَتيجةً لِتقارُب مَكانَيْ استِقرَارِهما، ثمَّ انقِطاعِ هَذهِ العَلاقةِ بَعدَ ارتِحالِ أحَدهِما وابتِعادِهِ عَنِ الآخَر، فَهذَا (لَبيد) يُعبِّر عَن هَذهِ الحَالةِ فِي قَولِهِ (مِن الكَامِل):

مُزِيَّـــةٌ حَلَّـــتْ بِفَيْـــدَ وَجَـــاوَرَت ... أَهْـــلَ الحِجَـــازِ فَـــأَيْنَ مِنْـــكَ مَرَامُهَـــا
بِمَشَـــارِقِ الجَبَلَـــينِ أَو بِمُحَجَّـــرٍ ... فَتَضَـــمَّنَتْهَا فَـــرْدَةٌ فَرُخَامُهَـــا[٩]

فَهُو كانَ يَصِل إلَيهَا عِندَما كَانَت تُجاوِرُه فِي المَكانِ، لكِنْ بَعدَما رَحَلت وحَلَّت بِ(فَيدَ) وجَاوَرت أهْلَ الحِجازِ، تَعذَّر عَليهِ طَلَبُها لأنَّ بَينَ بِلادِهِ والحِجَاز مَسافَةً بَعيدَة وتَيهاً قَذَفاً لايُمكِن الوُصولُ إلَيها[١٠].

أمَّا اختِصاصُ الزَّمانِ فِي الثَّقافةِ الجَاهليَّة فَيكونُ بِحدُوث حَوادِثَ مُعيَّنةٍ فِيه كالأيَّام، أو يأتِي الاختِصاصُ مِن مَنظُورٍ أسطُوريّ أو اجتِماعِيّ، حَيثُ كانُوا يَنظُرونَ إلَى أزمِنةٍ نَظرةً أُسطورِيَّة، أو يُقيِّدونَ أنفُسهُم بنَوعٍ منَ المُمارسَةِ الاجتِماعيَّة، وأمثِلةُ ذَلكَ كَثيرَة فِي الجَاهليَّة كالأشهُر الحُرُم التي فِيها حَرمُوا القِتالَ عَلى أنفُسهِم، وكَانتِ العَربُ تُسمِّي الأيَّامَ باسمِ الوَقائِع التِي تَقعُ فِيها، مِنهَا تَسميَتُها باسمِ الحُروبِ ، أو عِندَ الشُّعراءِ باسمِ المُغامَراتِ التي كانُوا يَقومونَ بِها أو المُشارَكة في نَشاطٍ مُعيَّن، كيَوم (عُراعِرٍ) في قَولِ (عَنترة) (مِنَ الطَّويل):

ألاَ هَـلْ أَتَاهَـا أنَّ يَـوْمَ عُرَاعِـرٍ ... شَـفَى فِيهَـا سُـقْمَاً لَـو كَانَـتِ الـنَّفْسُ تَشْـتَفِي[١١]

و(يَومُ عُراعِر) هُو اليَومُ الذِّي قَاتلَ فِيه بَنو عَبْس بَني كَلبٍ فِي مَوضِع (عُراعِر)، وهُو اسمٌ لِماءٍ في حَي بَني كَلب، فاختصَّ الزَّمن بِما وَقعَ فِيه.

هَكـذا تَتحـوَّل الأشـياءُ الطَّبيعيَّـة ذَاتُ البُعـدِ الفِزيـائِي فـي إطَـارِ الثَّقافـةِ الجَاهليَّـة إلَـى عَلامـاتٍ وَظَـواهِرَ دالَّـة، وَلَيـست هَـذهِ الأشـيَاءُ فِـي عَالمِهـا الطَّبيعيّ دَالَّـة عَلـى غَيـرِ مَاهيَّتهَـا، أي كَانَت تدلُّ عَلى جَوهَرها الطَّبيعيّ، فالحَجَر يدُلُّ عَلى ذَلِك المُكوَّن الجَامدِ فِي الطَّبيعَة، واليَومُ عَلى المِقدَارِ المُحدَّد فِي الزَّمن، لكِنْ فِي حالِ انتِقالِها إلَى ثَقافَةٍ مُعيَّنة لِجماعَة بَشريَّة تأخُذ أبعَاداً دَلالِيةً، وتَصيرُ دَالَّة عَلى مُحتَوى ثَقافةِ هَذه الجَماعَة.

وتَنتقِل هَذهِ العَلامَات الدَّالَّة والظَّواهِر الثَّقافيةُ إلى خِطابَاتٍ مُختلِفةٍ دَاخِلَ تِلكَ الثقَافةِ التِي أعطَتهَا إطَاراً دَلالِياً، لأنَّ العَالَم الثقَافيَّ عَالمٌ حَيّ مَليءٌ بالخِطاباتِ المُتنوِّعة، وتَمتلِئ هَذهِ الخِطاباتُ بِمعطَيَاتِ الثقَافةِ، وضِمنَ أنوَاعِ لخِطابِ تَنتقِل الثقافَةُ بِمظاهِرها المُتنوِّعة إلَى الخِطابِ الأدَبيّ عُموماً والشِّعري عَلى وَجهِ الخُصوصِ، ويَحدُث هَذا الانتِقالُ عَبرَ طَرِيقَتينِ:

الأُولى، هِي الطَّرِيقةُ المُباشِرةُ، إذْ تَتجلَّى المَفاهِيم الثقَافيةُ مُباشرَةً فِي الخِطاب الشِّعريّ، أي كَحالِها خَارجَ الشِّعرِ.

والثَّانيةُ، هِي الطِّريقةُ غَيرُ المُباشِرة، بِها تَتسرَّب المَفاهِيم الثقَافيَّة إلَى الخِطابِ الشِّعريّ فِي قالَبٍ بَلاغِي وجَماليّ بِحيثُ لانَشعُر مُباشرةً بِوجُودِها، فَهيَ تَتلبَّس ثَوبَ الشِّعر والصُّورِ الفنيَّة.

تُجسِّد الأمْثِلةُ الآنِفةُ الذِّكرِ وُقوعَ الشَّاعِرِ تَحتَ التأثِيرِ المُباشِرِ للثَّقافةِ، حَيثُ تَمثَّلتِ المفَـاهيمُ الثقَافيَّـةُ فِـي شِـعرِهِم كَمـا هِـيَ فـي الوَاقِـعِ، مَـثلاً فـي البَيـتِ المَـذكُورِ لـ(عَنتَرة)وَجَدنا اختِصـاصَ الزَّمـانِ بِواقِعةٍ مُعيَّنـةٍ خـارِجَ النَّص الشِّعريّ (يومُ عُراعِر)، وظَهَـر فـي الشِّعرِ من دُونِ تَغيِيرٍ، وهَذهِ الطَّرِيقَةُ لاتُشكِّلُ أهَميَّةً بَالِغةً لانكِشافِهَا ومُباشَرَتِها.

أمَّا الطَّرِيقَةُ الثانِيَة فَهِي مَوضِعُ الوُقوفِ عَلَيهِ وَمَوضِعُ التَّحليـلِ، إذْ تُمرِّر الثقَافَة أنْسـاقَهَا إلَى الخِطابِ الشِّعريّ مَطمُورةً ومَستورَةً خَلْف الجُمَلِ الشِّعريّة وَالتعَابيرِ والصُّوَر، وَهَـذه الطَّرِيقَةُ أكثَرُ انسِجاماً وَطَبيعَةَ النُّصوصِ الأدبِيَّة، لأنَّها تُمثِّل نَمطاً خَاصًّا مِن بَينِ أنمَاطِ الاتصَـالِ البَشَـريّ باستِخدامِ اللغَةِ بأُسلُوبٍ خَاصٍّ مُغايرٍ لِبـاقِي الأسَـاليبِ الأُخرَى، لَكـنَّ هَـذا النَّمطَ مَعَ خُصوصيَّتِهِ لايَسلَمُ مِن تَأثيراتِ الثقَافةِ التِي يُسمِّيهَا الغَذَّامي (دلاَلاَتٍ نَسقيَّةً)، إذ يَقُول ((وَلَيسَ مِن شَكٍّ أنَّ

كَافَّة أنمَاطِ الاتِّصالِ البَشَري تُضمِرُ دَلالاتٍ نَسَقيَّةً، تُؤثِّر عَلى كُلِّ مُستَوياتِ الاستِقبَالِ الإنسَانيّ فِي الطَّرِيقَةِ التِي بِهَا نَفهَم والطَّرِيقَةِ التِي بِهَا نُفسِّر، والنُصوصُ التِي لا تُسمَّى عَادَة بالأدَبيَّة هِيَ الأكثَرُ انفِعالاً مَعَ الوَظيفَةِ النَّسقيَّة، مِن دون أن يَنتَفِي ذّلِك عَنِ النُّصوصِ الأدَبيَّة أيَضاً))[١٢].

ونَستَطيعُ أن نَقُولَ إنَّ المُقدِّمةَ الطَّلليَّة تُجسِّد هَذهِ الحَالةَ فِي تَجلِّياتٍ مُتَنوِّعةٍ أهَمُّها إدَارةُ الصِّراعِ مَعَ الزَّمَن والأمَاكِن المُعادِيةِ، ومَاهُو البُكاءُ عَلى الأطلالِ إلاَّ استِحضاراً للزَّمنِ الماضِي وَحَسرةً عَلى تَحوُّلِ الأمَاكِن الأليِفَةِ إلَى أمَاكِنَ مُعاديَةٍ، نَاهِيكَ عَن نَسجِ مَجمُوعةٍ مِنَ المَفاهِيمِ الشِّعريَّة عَلى غِرَارِ المَفاهِيمِ الثَّقافيَّة، مَثلاً يَصنَعُ امرُؤالقَيسِ فِي عَالَمهِ الشِّعريّ أيَّاماً ويُسمِّيهَا بِأسماءٍ كَما كَانَ الحَالُ فِي الوَاقِع الثقَافِي:

أَلاَ رُبَّ يَـــومٍ لَـــكَ مِـــنْهُنَّ صَـــالِحٍ وَلاَ سِـــيَّمَا يَـــوْمٍ بِـــدَارَةِ جُلْجُـــلِ[١٣]

مِنَ الوَاضِحِ أنَّ هَذا اليَومَ يَومٌ خَاص بِالشَّاعِرِ، وَلَم يَجرِ اتِّفاقٌ ثَقافِيٌّ عَلَيهِ فِي وَاقِعِ الحَياةِ، وَلَم يَعرِف أحَدٌ خَارِجَ العَالَمِ الشِّعري عَن هَذا اليَوم، وَلَم يَكُن ذَا أهمِّيةٍ بالنِّسبةِ إلَيهِم، وإنَّما صَنَعهُ الشَّاعِرُ فِي خِطابِهِ الشِّعري وَأعطَاه دَلالةً مُعيَّنة، وَهَذا جَري عَلى وِفْقِ مَفاهِيمِ الثقَافةِ وَتَأثُّر بِهَا لَكِنْ بِطريقَةٍ غَيرِ مُباشِرةٍ.

وَمِن مَظاهِرِ تَجلِّي الثقَافةِ الجَاهليَّةِ فِي الخِطابِ الشِّعريّ مُعادَاةُ الزَّمانِ وإبدَاءُ الكُرهِ لَه والاستِياءُ مِنهُ، لأنَّه مُدمِّرٌ فِي نَظَرِهِم يَسحَقُ كُلَّ شَيءٍ، ولَيسَ الإنسَانِ ولاَ المَكَانُ خارِجَيْنِ عَن هَذا الفِعلِ ((لأنَّ المَكانَ والإنسَانَ بُعدَانِ مِن أبْعادِ الزَّمَنِ فَقط، ....فَهُما لا يَتجَليَانِ إلاَّ فِي لَحظَةِ التَّغيُّر أو فِي عَمَليَّة التَّغيُّر))[١٤].

وهَذهِ النَّظرَة تِجاهَ الزَّمَن مُتجَذِّرةٌ فِي الثقَافةِ الجَاهليَّة، حَيثُ كَانوا يُسنِدونَ التَّغيّراتِ الجَاريةَ فِي الإنسَانِ وَالمَكانِ والكَائِناتِ حتَّى فِي الكَونِ إلَى الزَّمَنِ، هَذا مَا وَرَد عَلى لِسانِهِم فِي القرآنِ الكَريمِ [وَقَالُوا مَا هِيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنيَا نَمُوتُ وَنَحيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ][١٥]، هَذه الآيَة تُوضِّح فَلسَفةَ الإنسَانِ الجَاهلِيّ فِي حَياتِهِ كَما تُوضِّحُ مَوقِفَه مِنَ الزَّمنِ وفِعلِهِ المُدمِّرِ.

وَخيرُ مَا يَعكِسُ هَذا المَوقِفَ ويَتبنَّاهُ فِي الخِطابِ الشِّعريّ الجَاهِليّ هُوَ الأطلاَلُ، لأنَّ الطَّلَلَ –كَما أشَرتُ إلَيهِ– بُنيةٌ زَمَكانيَّة مُرتَبطَةٌ بالإنسَانِ، أي العَناصِرُ التِي تُكوِّنُ مَوقِفَ الإنسَانِ

الجَاهِليّ في الثَّقافَة هِيَ نَفسُها فِي فَلسَفةِ الشَّاعِرِ، وهِيَ (الزَّمان، الإنسَان، المَكان)، لكِنَّ طَرِيقَةَ مُعالَجَتِها فِي الشِّعرِ تَختَلفُ عَن وُجودِها فِي المَنظُومةِ الثقَافيِّة، فِي الشِّعرِ يَظهَرُ هَذا النَّسقُ فِي تَجلِّياتٍ بَلاغيَّة مُراوِغةٍ وفِي صُورٍ شِعريَّة مُوحيَة وتَستَّرُ خَلفَ الجُمَل الإنشَائيَّة، حَيثُ تَشترِكُ عَناصِرُ عَديدَةٌ فِي خَلقِ رُؤيةٍ فَلسَفيةٍ – جَماليَّةٍ لِهذا المَوضُوعِ، وَهذِه الرُّؤيةُ سَوداويَّة مُتشَائِمةٌ تُصوِّرُ الطَّللَ كأنَّه ((العَلامةَ التِي تدُلُّ عَلى انتِصارِ الزَّمَنِ عَلَى الأشيَاءِ، فإنَّ مِن صِفاتِهِ أنَّه يَبلَى ويَدرُس ولاَ تَبقَى مِنهُ إلاَّ مَعالِمُ غَيرُ وَاضِحةٍ يَصعُبُ التَّعرُّف عَليهَا))[١٦]، يَقولُ زُهَيرٌ:

عَفَــا مِــنْ آلِ فَاطِمَــةَ الجِــواءُ فَــيُمْنٌ فَــالقَوَادِمُ فَالحِسَــاءُ[١٧]

ويَقُولُ عَنتَرةُ:

حُيِّيــتُ مِــنْ طَلَــلٍ تَقَــادَمَ عَهْــدُهُ أَقْــوَى وَأَقْفَــرَ بَعْــدَ أُمِّ الهَيْــثَمِ[١٨]

وَيَقُولُ لَبيدٌ:

عَفَــتِ الــدِّيارُ مَحَلُّهَــا فَمُقَامُهَــا بِمِنــىً تَأَبَّــدَ غَوْلُهَــا فَرِجَامُهَــا[١٩]

فِي هَذهِ النَّماذِج فِعلُ الزَّمَن وَاضِحٌ حَيثُ جَرى عَلَى الإنسَانِ والمَكانِ، ولاَ رَادِعَ لِفِعلِهِ فَهُو الذِي يَتحرَّك خَارِج إرَادَةِ الإنسَانِ، إذَن إسنَادُ صِفةِ الهَلاكِ إلَى الزَّمَنِ انتَقَل إلَى الخِطابِ الشِّعرِيّ، بَل سَيطَرَ عَلَى ذِهنِ الشَّاعِرِ بِحيثُ بَدأ أجوَدَ قَصائِدِه بِذِكرِ الزَّمَنِ والشَّكوَى مِن فِعلِهِ، وَهَذا مَا يُؤَكِّدهُ النَّقدُ الثقَافِيّ فِي تَفسيرِ الظَّواهِرِ الأدَبيَّةِ والمَضَامينِ الشِّعريَّةِ، وَالعِلَّة فِي وجُودِ هَذهِ الأنسَاقِ الآتِي مِنَ عُمقِ الثقَافَةِ الجَاهِليَّة في خِطَاب الشُّعَراء هِيَ فِعلُ الثقَافةِ الخَفِي، حيثُ يَتغذَّى الشَّاعِرُ بالثقَافَة كَفَردٍ مِن أفرَادِ المُجتَمعِ، ويَكونُ سُلوكُهُ ونَشَاطُه فِيما بَعدُ عَلَى وِفقِ مُعطَياتِها مِن دونِ أنْ يَشعُرَ، وَهَذهِ الطَّرِيقَةُ فِي التَّعبيرِ عِندَ الشُّعرَاءِ الجَاهليِّينَ تَدلُّ عَلَى ذَلكَ.

(٢)

الطُّمُـورُ والتَّجلِّـي

تَنساقُ الثقَافةُ إلَى الخِطابِ الشِّعريّ مُتحَوِّلةً إلَى أنسَاقٍ مَطمُورةٍ دَاخلَ القَصيدَةِ، حَيثُ تَتوسَّلُ ((بِجمَاليَّات اللُّغةِ وَتَشكيلاَتِها الاستِعارِيَّة المُراوِغةِ بُغيَةَ بِناءِ عَوالِمَ وَفضاءاتٍ نَسَقيَّة لاَمُتناهيَةٍ))[٢٠].

وَبِما أنَّها كَذلِكَ، فإنَّ الدَّلالَة النَّسقيَّةَ فِي الخِطابِ الشِّعريّ تَكونُ الأصلَ النَّظريَّ لِلكَشفِ والتَّأويلِ، مَعَ التَّسليمِ بِوجُودِ دَلالاتٍ أُخرَى، وَلاَ تَكونُ هَذهِ الدَّلالَةُ المُضمَرَةُ للنَّسقِ مَصنُوعةً مِن قِبَلِ المُنتجِ، لَكنَّها مُنكَسِبةٌ وَمُنغَرِسةٌ فِي الخِطَابِ مُؤلِّفتُها هِيَ الثقَافةُ[٢١]، وتَكونُ مَقبولةً عِندَ الجُمهُور والقُرَّاء، لأنَّها تُمثِّلُ الغِطاءَ الفَنِّي والجَماليَّ للمَفاهِيمِ الثقَافيَّة السَّائدَةِ.

إذاً، يَكونُ التَّجلِّي الشِّعرِي والأدَبِي بَديلاً إجرَائِياً للأنسَاقِ المَطمُورةِ التِي تَعمَلُ خُفيَةً لِتَرويضِ عَمَلهَا وتَزيِينِ مَفاهِيمهَا.

وَفِي الخِطَابِ الشِّعريّ الجَاهِليّ الثقَافةُ حاضِرَةٌ حُضوراً قَوياً إذَا قَارَنَاهُ بالعُصورِ الأخرَى، وإنْ كَانَ النَّص الشِّعريّ العَرَبي القَديمُ فِي عُمومِهِ نَصٌّ ثَقافِي نَسَقيّ، لَكنَّ العَصرَ الجَاهِليَّ لَه خُصُوصيَّتُهُ بِشعرِه وثَقافَتِه، فَقد حَدَثَ فِي هَذهِ الحِقبَةِ اندِماجٌ ومُزاوَجةٌ شِبهُ كُليَّة بينَ الشِّعرِ وبَينَ الثقَافَةِ، أو بِعبارَة أُخرَى بينَ الحَياةِ بِرُمَّتها وبَينَ الشِّعرِ، حَيثُ أطلَقَ (د.عبدالله الغذامي) عَلى هَذا الاندِماجِ ((شَعرَنةَ الثقَافَةِ))[٢٢] أو شَعرَنةَ والذَّواتِ وَالحَياةِ برمَّتِها، يَقولُ عَمَّا وُصِفَ الشِّعرُ بِديوَانِ العَرَب ((إنَّ السِّماتِ النَّسقِيَّةَ تَظلُّ تَتسرَّبُ مِن هَذا الدِّيوانِ وَتَتغَلغلُ فِي نَسيجِنَا الذِّهنِيّ والثقَافِي وَنَقُوم بإعَادةِ إنتَاجِ هَذهِ النَّماذجِ وَهَذهِ السُلوكيَّاتِ التِي تَطبَعُ شَخصيَّتَنا بِطابَعِها وَتَصوغُنا حَسبَ قِياساتِها))[٢٣]، وَهَذا ما حَدثَ بالفِعلِ مُنذُ العَصرِ الجَاهِليّ حَيثُ صَار الشِّعرُ المتَحدِّثَ الرَّسميَّ باسمِ الثقَافةِ وَالمَخرَجَ الجَماليَّ لإنتَاجِ مَفاهِيمهَا ونَشرِها.

وَإذَا عُدنَا إلَى الأطلاَلِ كإحدَى عَلامَاتِ النَّسقيَّةِ فِي الشِّعرِ مُجسِّدةً رُؤىً ومَواقِفَ عَن الإنسَانِ والزَّمانِ والمَكانِ، لرَأينَا مَلامِحَ بَارِزةً فِيهَا، آتيَةً مِن عُمقِ الثقَافةِ الجَاهليَّةِ، مِنهَا الصِّراعُ بَينَ الإنسَانِ والزَّمَانِ وَهُو ((أنَّ الإنسَانَ يَتضادُّ مَعَ الزَّمنِ ويُواجِهُهُ بِحيلَةِ الهُروبِ/الحَرَكةِ إلَى المَاضِي، فِي حِينِ أنَّ الإنسَانَ فِي صِراعِهِ مَعَ الإنسَانِ والمَكانِ كَانَ يُوظِّف قُدُراتِهِ الثقَافيَّةَ فِي الحَياةِ بالمُواجَهةِ اللَّحظِيَّة... ولُجوءُ الشَّاعِرِ، فِي الصِّراعِ مَعَ الزَّمَنِ إلَى سِجلِّ المَاضِي يَشِي

بِحالَةِ العَجزِ التَّامِّ))[٢٤]، وحِينَما يَرَى الشَّاعِرُ عَلامَاتِ الشَّيبِ أوِ انتِصَارَ الزَّمَن عَليهِ يُواجِهُه بِزَمَن آخَرَ عَن طَرِيقِ الرُّجوعِ إلَى ذِكرَياتِهِ وَشَبابِهِ، وَخيرُ مُعينٍ فِي هَذا آثارٌ مادِّيَّة باقِيةٌ تُشيرُ إلَى ذَلِكَ الزَّمنِ، وَهُنا يُسعِفُهُ المَكانُ للدَّلالَةِ عَلى هَذا الرُّجوعِ، فَهَاهُو امرُؤالقَيسِ يَتصفَّحُ ذَاكِرَتَهُ لِيرجِع إلَى أيَّامِ شَبَابِهِ التِي ظَفَر فِيها بِعَشيقَاتِهِ:

١ وَيَومَ عَقَرْتُ لِلعَذَارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَباً مِنْ كُورِهَا المُتَحَمَّلِ

٢ وَيَومَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيزَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الوَيْلاتُ إنَّكَ مُرْجِلِي

٣ وَيَوماً عَلَى ظَهْرِ الكَثِيبِ تَعَذَّرَت عَلَيَّ وَآلَتْ حَلْفَةً لَمْ تَحَلَّلِ

٤ تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسَاً إلَيْهَا وَمَعْشَرَاً عَلَيَّ حِرَاصَاً لَو يُسِرُّونَ مَقْتَلِي[٢٥]

وَمِمَّا يُواجِهُ بِهِ الشَّاعِرُ الجَاهِليّ قُوَّةَ الزَّمنِ وسَيطَرَتَهُ عَليهِ لُجوؤهُ إلَى الاستِعانَةِ بِقوَّة مُسانِدةٍ لَه، وَهُوَ قُوةُ الحَيوانِ الأليفِ الذِي ظلَّ يُصاحِبُهُ وَيُعينُه، وَهذِهِ الاستِعانَةُ مِن عَلامَاتِ الانهِزَامِ كأنَّ الشَّاعِرَ يَهرُبُ مِن الوَاقِع المَوجُودِ، المَليءِ بالانكِساراتِ وفُقدَانِ الأشيَاءِ الثَّمينَةِ، كالحَبيبَةِ والعُمُر والقُوَّة والشَّبابِ، لِهذا نَجِد كَثيراً مِن الشُّعرَاءِ يُمضُونَ هُمومَهُم بِهِ، يَقولُ طَرَفةُ:

وَإنِّي لَأُمْضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِعَوجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي[٢٦]

وَيَقولَ الحَارِثُ بنُ حِلِّزَةَ اليَشكُري:

غَيْرَ أَنِّي قَدْ أستَعِينُ عَلَى الهَمِّ إذَا خَفَّ بِالثَّويِّ النَّجَاءُ

بِزَفُوفٍ كَأنَّهَا هِقْلَةٌ أُ مُّ رِئَالٍ دَوِّيَّةٌ سَقْفَاء[٢٧]

وَمِمَّا يُؤكِّد استِعانَةَ الشَّاعِرِ الجَاهِليِّ بِقُوّةٍ إضَافيَّة فِي مُواجَهتِهِ مَع الزَّمَن أنَّهُ يَنتَقِل مُباشَرةً بَعدَ الانتِهَاءِ مِنَ الحَديثِ عَن الأطلَال إلَى ذِكرِ الحَيوَانِ وَمُرافَقتِه، حَيثُ يَستأنِسُ بِهِ ويُسنِدُ قوَّتَه إلَى قُوَّتِهِ، وقَد يَكونُ تَفسِيرُ ذِكرِ الصِّفاتِ الحَسَنةِ لِلحَيوانِ مَدحَ صَاحِبِه بِطريقَةٍ غَيرِ مُباشِرةٍ، أي بَدلاً مِن أن يَمدَحَ الشَّاعِرُ نَفسَهُ يَذكُر لِحَيوانِهِ صِفاتٍ حَسنَةً ويُشَبِّهُهُ بأشيَاءَ كَثيرَةٍ، كأنَّه يَقولُ مَن يَمتلِكُ مِثلَ هَذا الحَيوانِ مَحظوظٌ وَلايُبالِي بِنائِباتِ الزَّمَنِ وَفِعلِهِ المُدمِّر.

وَمِنَ المَوضُوعاتِ التِي يَتَّضِح فِهَا صِرَاعُ الإنسَان/الشَّاعِرِ الجَاهليِّ مَع الزَّمَن (الليلُ)، فَقَد ((كَانَ الليلُ يُشكِّلُ فِي المِخيَالِ الثَّقافِيِّ الجَاهِلِيِّ سِرّاً غَامِضاً وَقُوَّة رَهيبَةً تَبعَثُ القَلَقَ والحَيرَةَ عِندَ الإنسَانِ الجَاهِلِيِّ))[٢٨]، معَ أنَّ الزَّمنَ بِرُمَّتِهِ مَصدَرُ الفَناءِ والتَّشاؤمِ والرَّهبَةِ إلاَّ أنَّ الجُزءَ المُظلِمَ مِنهُ أكثَرُ رَهبةً وأشَدُّ سَطوَةً عَلَى الشَّاعِرِ، لذَلكَ نَرى امرَأالقَيسِ يَشكُو مِن اللَّيلِ الطَّويلِ طُولَهُ وغَلَبتَهُ ويَنتَظرُ الصَّباحَ معَ أنَّه لايُجدِي نَفعاً ولَيسَ بأحسَنَ حالاً مِنَ اللَّيلِ، لكِنَّه يُريدُ التَّخلُّصَ مِن غُموضِهِ وسَترِهِ ورَهبَتِهِ، يَقولُ:

وَلَيلٍ كَمَوجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَ نَاءَ بِكَلْكَلِ
أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِي بِصُبحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمثَلِ[٢٩]

وَمِن المُلاحَظِ فِي الشِّعرِ الجَاهِلِيِّ أنَّ الرُّجوعَ إلَى المَاضِي مِن قِبَل الشَّاعِرِ يَكونُ إلَى الأيَّامِ غَالِباً وَلاَ يَرجِعُ إلَى اللَّيالِي إلاَّ فِيما نَدَر، وهَذا يُؤَكِّد قَولَنا السَّابقَ إنَّ الشَّاعرَ يُفضِّلُ النَّهارَ عَلَى اللَّيلِ مَعَ أنَّه لايَنفَعُه كَثيراً، لَكِنَّه عَلَى أقلِّ تَقديرٍ يَتخلَّصُ مِنَ الظَّلامِ وَمَا يُصاحِبُهُ مِنَ الرَّهبَةِ والذُّعرِ، يَعنِي حتَّى رُجُوعُهم إلَى المَاضِي يَكونُ رُجوعاً نَهاريًّا –إن صَحَّ التَّعبيرُ– أي إلَى الجُزءِ الإيجَابِي مِنَ الزَّمنِ المَاضِي.

وَلاَ يَقِف الشَّاعِرُ عِندَ حَدِّ الاستِنادِ إلَى قُوَّة إضَافيَّةٍ فِي مُواجَهَتِهِ مَعَ الزَّمنِ أو ضَمِّ الحَيوانِ إلَى طَرَفِهِ، بَل يَحشِدُ الطَّبيعَةَ الجَامِدةَ أيَضاً ضِدَّ الزَّمَن، لَكِنْ بطَرِيقةٍ أُخرَى غَيرِ طَرِيقَةِ استِخدَامِ الحَيوانِ كَقُوةٍ إضَافيَّة، هَذهِ المَرَّة يَضعُ الطَّبيعَةَ وَمَا فِيهَا مِن أمَاكِنَ وَأشجَارٍ وصُخورٍ وَرِمالٍ وَحيواناتٍ أُخرَى غَيرِ الحَيَوانِ الأليفِ الذِي يُصاحِبُه فِي مُواجَهةِ الزَّمَن، حَيثُ يَتعرَّفُ الأمَاكِنَ الخَاليَةَ ويُحيِيهَا مَرَّة أُخرَى وَيَعُدُّها، ويَجعَلُ مَا تَحوِيهِ الطَّبيعَةُ جُزءاً مِن استِعادَةِ ذِكرَياتِهِ وَمَعرِفتِهِ بِهَا مِن قَبلُ، كأنَّه يَمرُّ بِمَرحلَةِ إنعَاشِ المَعلُوماتِ بِخُصوصِ هذِهِ الأشيَاءِ، وَيَفُضُّ الغُبارَ عَلَى صَفَحاتِ ذَاكِرَتِهِ، يَبدأُ بِذِكرِ أسمَاءِ الأمَاكِنِ وَالحَيوَاناتِ المُنتَشِرَة فِيهَا وَالأشجَارِ التِي تَحوِيهَا، ذَلكَ لأنَّ ((الزَّمَنَ يَصعُبُ اقتِناصُهُ وَفَهمُهُ وَتَصوُّرهُ ومِن ثَمَّ فإنَّ العَلامَاتِ السِّيميوطِقيَّةَ الخَاصَّةَ بالزَّمَنِ تَتآلَف دَائماً مَعَ عَلامَاتٍ مَكَانيَّة فالتَّصوُّر الزَّمَني وَحَرَكتُهُ تَرتَبطُ بالمَكانِ هَذا مِن

جَانبٍ فَنَجدُ فِي المُقدِّمَةِ الطَّلَليَّة الزَّوالَ مُلتَصِقاً بالطَّلَلِ والدَّوامَ مُرتَبطاً بالأسمَاءِ المَكانيَّةِ الَّتِي تَستَدعي الطَّبيعَةَ))[٣٠]، لِذلِكَ لا نَرَى مُقدِّمةً طَلَليةً خَاليَّةً مِن ذِكرِ أسمَاءِ الأمَاكِنِ الحَقِيقيَّة المَوجُودَةِ فِي أرضِ الوَاقِعِ، مَثلاً يَذكُرُ امرُؤالقَيسِ (سِقطَ اللِّوَى، الدَّخُولَ، حَومَلَ، تُوضِحَ، المِقراةَ) في بَيتَينِ، ويَفعَلُ الأعشَى الأكبَرُ مِثلَهُ فِي هَذينِ البَيتَينِ (مِنَ البَسيطِ):

قَالُوا نِمَارٌ، فَبَطْنُ الخَالِ جَادَهُمَا ... فَالعَسْجَدِيَّةُ فَالأبْلاَءُ فَالرِّجَلُ

فَالسَّفْحُ يَجْرِي فَخَنْزِيرٌ فَبُرْقَتُهُ ... حَتَّى تَدَافَعَ مِنْهُ الرَّبْوُ، فَالجَبَلُ[٣١]

وَكَذلِكَ يَقولُ عَنتَرةُ (مِنَ الكَامِل):

وَتَحِلُّ عَبْلَةُ بِالجِوَاءِ وَأَهْلُنَا ... بِالحَزْنِ فَالصَّمَّانِ فَالمُتَثَلَّمِ[٣٢]

الدَّافِع الذِي يَقِف وَرَاءَ ذِكرِ هَذهِ الأسمَاءِ هُو أنَّ الشَّاعِرَ صَارَ مُتوَهِّماً في تَعرُّفِهِ المَوضِعَ المُرادَ تَحدِيدُهُ بَعدَ مُرورِ زَمَنٍ طَويلٍ عَلى مُغادَرَتِهِ ويَصعُبُ عَليهِ الأمرُ، لِذلِكَ يَلجَأ إلَى استِذكَارِ أسماءِ الأمَاكِنِ، لأنَّ الجَانِبَ الطُّبوغرافِيَّ قَد تَغيَّرَ لكِنَّ الأسمَاءَ بَقيَت كَما هِيَ، فَمِن خِلالِهَا يَبدَأ مَسحاً جُغرَافياً لِتَحدِيدِ مَوضِع الدِّيارِ بِدِقَّةٍ، مَثلاً لا يَستَطيعُ امرُؤالقَيسِ أن يُحدِّدَ مُباشَرةً مَوضِعَ (سِقطِ اللِّوَى) المَركَزي في الأطلالِ إلاَّ بَعدَ تَحدِيدِ مَواضِعَ مُجَاوِرةٍ لَها، كأنَّه يُحدِّدُ الأطرَافَ الأربَعةَ لَهَا جَنوباً وشِمالاً، شَرقاً وَغَرباً (الدَّخول، حَومَل) و(تُوضِح والمِقراة).

(٣)
الاستِقطَابُ والتَّصـدُّر

مَا الَّذِي جَعلَ الأطلَالَ تَتصدَّر القَصائِدَ؟ هَل هَّذا التَّموقِع عَمليَّةٌ اعتِباطيَّة أَم وَراءَه دَوافِع مِن خَارِجِ الخِطابِ الشِّعريِّ؟ مَا الَّذِي يُعالَجُ مِنَ الأفكَارِ وَالمَفاهِيمِ مِن خِلالِ المُقدِّمةِ الطَّلَليةِ؟

حَاوَل النُّقادُ مِنذُ تأسِيسِ النَّقدِ المَنهَجيِّ عِندَ العَربِ الإجَابةَ عَن هَذهِ الأسئِلةَ، وَلاَشكَّ أنَّ التَّفسيرَاتِ والتَّأويلاَتِ تَختَلفُ بِحَسبِ وِجهَاتِ النَّظرِ واختِلافِ مَنَاهِجِ الدِّرَاسَة، مَثلاً عِندَ القُدَماءِ لَم يَكُنِ الابتِدَاءُ بِذِكرِ الأطلاَلِ والحَدِيثُ عَن شِدَّةِ الوَجدِ والشَّوقِ إلَى الحَبِيبَةِ إلاَّ لاِستِمالَةِ القُلوبِ وَصَرفِ الإنتِباهِ إلَى قَصدِ الشَّاعِرِ والكَلامِ الَّذِي يأتِي بَعدَ هَذهِ المُقدِّمَةِ، فِي هَذا الشَّأنِ يَقُول ابنُ قُتَيبَةُ (ت٢٧٦هـ) ((وَسَمِعتُ أهْلَ الأدَبِ يَذكُرُ أنَّ مَقصَدَ القَصيدِ إنَّما ابتَدأ فِيهَا بِذِكرِ الدِّيَارِ والزَّمَن والآثَارِ، فَبَكى وَشَكَى وخَاطَبَ الرَّبعَ واستَوقَفَ الرَّفِيقَ، لِيجعَلَ ذَلِك سَبباً لِذِكرِ أهلِهَا الظَّاعِنينَ عَنهَا،.... ثُمَّ وَصَلَ ذَلكَ بالنَّسيبِ فَشَكا شِدَّة الوَجْد وألَم الفِرَاقِ، وَفَرطَ الصَّبابَةِ وَالشَّوقِ، لِيُميلَ نَحوَه القُلوبَ، وَيَصرِف إلَيهِ الوُجُوهَ، ولِيَستَدعيَ بِهِ إصغَاءَ الأسمَاعِ))[٣٣].

يُؤَكِّدُ هَذا التَّعلِيلُ هَامِشيَّة المُقدِّمَةِ الطَّلَليَّة فِي بُنيَةِ القَصيدَةِ، إذْ تَقتَصرُ وَظِيفَتُها فِي نَظَر القُدَماءِ عَلَى التَّمهِيدِ لِكَلامٍ أهمَّ مِنهَا واستِمالَةِ الأسمَاعِ والقُلوبِ، وَلا يَبتَعِد ابنُ رَشيقٍ (ت٤٥٦هـ) عَن هَذا المَفهُومِ كَثيراً حَيثُ يَجعَلُ المُقدِّمَةَ الطَّلليَّةَ تَمهِيداً لِدُخولِ الشَّاعِرِ إلى قَصيدَتِهِ والغَرَض الأسَاسِ، فاختِلافُهُ مَعَ ابنِ قُتَيبةَ يَكونُ في وَضعِ الشَّاعِرِ في الحُسبَانِ بَدَلاً مِن السَّامِعِ، أي تَكونُ المُقدِّمةُ لَدَيهِ تَمهِيداً للشَّاعِرِ لِيَضعَ رِجلَهُ فِي قَصيدَتِهِ وَمَوضُوعِهِ، وَهَذا وَاضِحٌ فِي قَولِهِ ((إذَا انفَتَحَ للشَّاعِرِ نَسِيبُ القَصيدَةِ فَقَد وَلِجَ مِنَ البَابِ وَوَضعَ رِجلَهُ فِي الرِّكَابِ))[٣٤].

مَهمَا يَكُنِ الاختِلافُ بَينَهُما فإنَّ الوَظيفَةَ عِندَهُما لاَ يَخرُجُ عَن تَهيئَةِ الأَجوَاءِ لِدُخولِ القّصيدَةِ سَواءٌ خَصَّت هَذهِ التَّهيئَة السَّامعيَنَ أو الشَّاعِرَ.

وَلِلمُحدَثينَ مِن أنصَارِ النَّقدِ الأدَبِي تَفسِيراتٌ عَدِيدةٌ، مِنهَا أنَّ البِدءَ بالأطْلاَلِ مِن تَقَاليدِ الشُّعرَاءِ وَهُوَ ظَاهِرةٌ فَنِيَّة لاَ غَير فِي رَأي (د.محمد مندور)، ويَرى (د.يوسف اليوسف) أنَّ

هَذهِ المُقدِّمةَ استِجابةٌ لِحالاتٍ نَفسيَّة وفِكريَّةٍ لإثَاراتٍ خَارجيَّة، كَما أنَّ آخَرينَ يَرونَ أنَّهَا حَتميَّةٌ وَاقِعيَّة تَنبَع مِن وَاقِعٍ بِيئي مُباشِر[٣٥].

أمَّا لِلنَّقدِ الثَّقافِيّ فَوِجهَةُ نَظَرٍ أُخرَى فِي تَفسِير هَذهِ الظَّاهِرة، فَهُو يَضعُ كُلَّ خِطَابٍ مُنتَجٍ فِي سِياقِهِ الثقَافِيّ، إذْ لاَ يُمكِنُ لَه أن يَتحَاشَى الأنسَاقَ الثقَافيَّة التِي تَعمَلُ بِخَفاءٍ فِيهِ، مِن هَذا المُنطَلَق لاَ يُمكِنُ أن نَنظُر إلَى المُقدِّمةِ الطَّلليَّة أنَّهَا تَمهِيد لِكَلام أهمَّ مِنهَا، أو لِيَدخُلَ الشَّاعِر مِن خِلاَلهَا إلَى قَصيدَتِهِ، وَلا يُمكِنُ أن تَكونَ استِجابةً نَفسيَّةً أو مَفروضَةً مِن وَاقِعٍ اجتِماعيٍّ فَحَسبُ، لأنَّ لِلمُقدِّمةِ فِي كُلِّ شَيءٍ أهَميَّةً خَاصَّةً وَهِيَ نَاصيَتُها، لاَ تَأتي لِأَمرٍ عَرَضيٍّ أو لِتأدِيَة وَظيفَةٍ هَامشيَّة أو للتَّمهِيدِ.

وَهَذا الكَلامُ أكثَرُ انطِباقاً عَلَى المُقدِّمةِ الطَّلليَّة مِن غَيرِهَا، ذَلِك لأنَّهَا تَستَقطِبُ خُلاصةَ الأفكَارِ وعُصارَةَ الرُّؤيةِ الفَلسَفيَّةِ للشَّاعِرِ الجَاهِليِّ نَحوَ الحَياةِ والكَونِ والوُجودِ بِصُورةٍ عَامَّة، وَهَذهِ الرُّؤيَة تَنبَعُ مِن حَقِيقةٍ يمكِنُ التَّعبيرُ عَنهَا بِبَساطةٍ، وَهِي ((اصطِدَامُ مَصَالحِ الإنسَانِ بِالمَوجُوداتِ المُحيطَةِ بِهِ))، عِندَما يُدرِك الإنسَانُ أنَّ مَصالِحَه تَصطَدِمُ بِالمَوجُوداتِ أو تَتعارَضُ مَعَها يَأخُذ مِنهَا مَوقِفاً سَلبِياً، وفِي مُقابِلِ ذَلِك عِندَمَا يَرَى اكتِمالاً بَينَ مَصالِحِهِ وَبينَ المَوجُودَاتِ يَأخُذُ تِجَاهَها مَوقِفاً إيجَابِياً[٣٦].

مِن هُنا يَجبُ النَّظَر إلَى المُقدِّمةِ الطَّلَليَّة أنَّها تُجسِّدُ هَذهِ الرُّؤيةَ التِي تَتأسَّس عَلَى تَحدِيدِ عَلاقَةِ الإنسَانِ الجَاهِليِّ بِالكَونِ بِعامَّةٍ ومَوجُوداتٍ مُعيَّنةٍ بِخَاصَّة، فالإنسَانُ الجَاهِليُّ كَانَ يَقِفُ مَوقِفَ العَداءِ مِنَ الزَّمَن –سَبَق أن قُلنَا هَذا– والسِّرُّ فِي ذَلِكَ هُو وُجُود العَلاقةِ السَّلبِيةِ بَينَ الإنسَانِ وَبَينَ هَذا المَوجُودِ، وَتأتِي هَذهِ العَلاقَةُ ضِمنَ نَظرَةِ الجَاهِليِّ إلَى مَسألةِ النَّفعِ والضَّرَر، النَّاتِجَينِ عَنِ الزَّمنِ، بِمَا أنَّ مَصالِحَهُ تَتضرَّر بِفِعلِ الزَّمَن فإنَّه يَأخُذُ مَوقِفاً مُعادِياً مِنهُ، والمَصالِحُ هُنَا مَفهُومٌ عَامٌّ يَشمَلُ الحَياةَ والقُوَّة والشَّبابَ ومَا يَؤولُ إلَيهِ مَصِيرُهُ، نسْتَطيعُ القَولَ إنَّ حَيَاتَه بِرُمَّتِها تَتعَارضُ مَعَ الزَّمَنِ وتَصطَدِم بِهِ، وكَذلِكَ تَصطَدِم بأشيَاءَ أُخرَى فِي الطَّبيعَةِ وفِيمَا يُحيطُ بِهِ فِي مَسيرَةِ سَعيِهِ نَحوَ البَقاءِ وَصِرَاعِهِ عَلَى الوُجودِ، لِذلِكَ انطَبَعت رُؤيةُ العَرَبيِّ ((بِسَعيِهِ إلَى الانتِصارِ، انتِصَار عَلى الجَفَافِ، انتِصَار عَلَى الظَّعنِ، انْتِصَار عَلَى الآخَر، انْتِصَار عَلَى ظَواهِرِ الطَّبيعة بأنْ يُعِيدَ تَصنِيفَهَا بَينَ عَدوٍّ وَحَليفٍ))[٣٧].

وَلاَ يَخفَى أنَّ كُلَّ هَذهِ الأُمُورِ أُعيدَ تَنظِيمُها فِي الشِّعرِ الجَاهلِيَّ وفِي مُقدِّماتِهِ الطَّلليَّةِ فِي قَوالِبَ بَلاغيَّةٍ وجَماليَّةٍ، حَيثُ أعطَتهَا غِطَاءً فَنيَّاً لِلتَّلاعُبِ بِتلكَ الرُّؤيَة التِي تَحدَّثنَا عَنهُ عِندَ كُلِّ إنسَانٍ جَاهِلِيٍّ، مِن هُنا يُؤكِّد النَّقدُ الثقَافيُّ أهمِيَّة المَفاهِيمِ الثَّقافيَّةِ والرُّؤيَةَ الفَلسفيَّة العَامةَ التِي تَنساقُ إلَى الخِطابَاتِ المُختلِفَة، ولِلدَّلاَلةِ عَلى هَذَا نأتِي بِأمثِلةٍ مِن مُقدِّمَاتِ القَصائِدِ لِكِبارِ الشُّعرَاءِ الجَاهلِيِّينَ، فِي هَذا يَقولُ امرُؤالقَيسِ (مِنَ الطَّويل):

وَإنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ[٣٨]

فِي هَذا قِمَّة اليأسِ والاستِسلامِ لِفِعلِ الزَّمَنِ الذِي أخذَ مِنهُ كُلَّ شَيءٍ، حتَّى لَم تَعُدِ الآثَارُ البَاقِيةُ تُجدِي نَفعاً مَعَ أنَّ عَلاقَةَ الشَّاعِرِ بِهَا قَويَّةٌ كَونَهَا مَكانَاً.

لَكِنَّ الأَمرَ بالنِّسبَةِ إلَى طَرَفةَ مُغايرٌ تَمَاماً عِندَمَا يَلجَأ إلَى نَاقَتِهِ كُلَّمَا فَقدَ الأَمَلَ بِالمَوجُوداتِ الأُخرَى (مِنَ الطَّويل):

وَإنِّي لَأُمضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِعَوجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي[٣٩]

إذَن، العَلاقَةُ بَينَهُ وَبَينَ نَاقَتِهِ حَمِيميَّة فَهِي صَارَت حَلِيفاً لَه فِي مُقَابلِ الزَّمَنِ العَدوِّ وَوَحشَةِ الصَّحرَاءِ.

أمَّا زُهَيرٌ فَيَقِف إزَاءَ الآثَارِ البَاقِيةِ يُفَكِّر ويَحفِرُ مِن قَلبِ المَكانِ لِيَكشفَ عَن حُلَفاءَ صَمَدوا أمَامَ نَوائِبِ الدَّهرِ والسَّنَواتِ العِشرِينَ، فَيَجِدُ الأُثفِيَة والنُّؤيَ والحَوضَ، ثُمَّ يُحَيِّي الرَّبعَ/المَكَانَ وَمَا يَحوِيهِ مِنَ الآثَارِ البَاقيَةِ (مِنَ الطَّويلِ):

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً فَلَأْيَاً عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ
أَثَافِيَّ سُعْفَاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ وَنُؤيَاً كَجِذْمِ الحَوضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ
فَلَمَّا عَرَفتُ الدَّارَ قُلتُ لِرَبْعِهَا: أَلاَ انْعِمْ صَبَاحَاً أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسلَمِ[٤٠]

هَكَذا يَتحوَّلُ الشَّاعِرُ إلى المُتحَدِّثِ البَليغِ والسَّاحِرِ الفَنَّانِ باسْمِ الثقَافةِ، وَيَكونُ خِطَابُه وَجهاً آخَرَ لِتأكِد المَفاهِيمِ الكُليَّةِ والأعرَافِ الجَماعِيَّةِ المُترَسِّخةِ فِي الثَّقافةِ التي صَارَت جُزءاً مِن كَينُونَتِهِ وَشَخصيَّتِهِ قَبْلَ أنْ تَكونَ مُضمَرةً فِي خِطابِهِ ومَطمُورةً فِي أعمالِهِ.

استِنتَاجَات

مِن خِلالِ مَا مَرَّ تَمخَّضَ البَحثُ عَنِ النَّتائجِ الآتِيةِ:

١ـ الخِطابُ الشِّعرِيُّ الجَاهِليّ مَبنِيٌّ فِي جَوهَرِهِ عَلَى مُعطَياتِ الثَّقافَةِ الجَاهِليَّة، إذْ تَبيَّنَ أنَّ الأنسَاقَ الثَّقافِيَّة والمَفاهِيمَ النَّابِعةَ عَنهَا كَوَّنتَا رُؤيَةَ الشَّاعِرِ الجَاهلِيّ، وَوَجَّهتَا مَواقِفَه وسُلوكَهُ الإبدَاعِي، لَكنَّ هَذهِ العَمَليَّةَ لَم تَتِمَّ مُباشَرةً بِطَرِيقَةٍ وَاضِحةٍ، وَإنَّما انطَبَعت بِطَابَعِ الخِطابِ الفَنِّي، وَتَجلَّت بِأساليبَ مُحتالَةٍ فِي ثَوبٍ مُنساقٍ مَعَ الخِطابِ الشِّعرِيّ، حَيثُ دَخَلَت الثقَافةُ عَالَمَ الشِّعرِ وتَجذَّرَت فِيهِ وَأنتَجَت نَفسَهَا مَرَّةً أُخرَى فِي صُورَةِ قَصائِدَ شِعريَّةٍ.

٢ـ لَيسَتِ المُقدِّماتُ الطَّلليةُ أَوعِيةً فَارِغةً خَالِيةً مِنَ الدَّلالَةِ، أو تَمهِيداً للدُّخُولِ إلَى الغَرَض وَالوُصولِ إلَى القَصدِ، وَلَم يأتِ اتِّباعُ الشُّعَراءِ هَذا النَّمَطَ فِي إنتَاجِ القَصائِدِ عَن قَصدِ التَّقلِيدِ المَحضِ، وإنَّما تَحكَّمَت بِذَلكَ بَلوَرةُ الرُّؤيةِ الفَلسَفِيةِ للشَّاعِرِ الجَاهِليّ، الإبنِ الوَفِيِّ لِبِيئَتِهِ والمُتَرَعرَعِ فِي أحضَانِ ثَقافَةِ مُجتَمَعِهِ.

٣. يَنطَلِقُ الشَّاعِرِ الجَاهِليُّ فِي خِطابِهِ الإبدَاعِيّ مِن مُنطَلَقِ مَنحِ الثَّقافَةِ الأولَويَّةَ للمَفاهِيمِ، فَهُو يُعِيدُ تَشكِلَ المَفاهِيمِ وتَنظِيمَ الأشياءِ بِناءً عَلَى الأهَمِّيةِ التِي اكتَسَبَتهَا وَهِي فِي سِياقِها الثقَافِيّ، مِن هُنَا يَصدِمُ المُتلَقِّيَ مُنذُ الوَهلَةِ الأُولَى بِمُرتَكزَاتِ رُؤيَتِهِ وَأسَاسِيَّاتِ فَلسَفَتِهِ، ثُمَّ يُفصِّلُ القَولَ فِي الجُزئِيَّاتِ والتَّفاصِيل.

هوامش البحث

١. لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي (المركز الثقافي العربي، بيروت،١٩٩١)، ص٢٣.

٢. القاريء والنص (العلامة والدلالة)، سيزا قاسم (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢)، ص١٧.

٣. ينظر: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تأليف:دوني كوش، ترجمة: د.قاسم المقداد (اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢)، ص٢٠، والمسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة ، زكي الميلاد (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠٠٥)، ص١٣٤-١٣٥.

٤. المسألة الثقافية /١٣٦-١٣٧.

٥. القاريء والنص ، ص٣٧.

٦. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٧. الانتماء في الشعر الجاهلي، د.فاروق أحمد أسليم (اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨)، ص١٩٨.

٨. شرح اختيارات المفضل، نقلا عن: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٩. ديوانه، اعتنى به حمدو طماس، (دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤)، ص١٠٩.

١٠. ينظر: شرح المعلقات السبع، عبدالله الحسن بن أحمد الزوزني، تحقيق: محمد عبدالقادر الفاضلي، (شركة أبناء شريف الأنصاري، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨)، الصفحات ١٣٩-١٤١.

١١. ديوانه، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤)، ص٣٨.

١٢. النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، عبدالله الغذامي (المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥)، ص٦٥.

١٣. ديوانه، تحقيق: د.درويش الجويدي، (شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨)، ص١٦.

١٤. الرؤى المقنعة (نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي)، كمال أبو ديب (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦)، ص٣٢٤.

١٥. سورة الجاثية، الآية ٢٤.

١٦. القاريء والنص، ص٩١.

١٧. ديوانه، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥)، ص٩.

١٨. ديوانه، ص١١.

١٩. ديوانه، ص١٠٧.

٢٠. النسق الثقافي قراءات ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، د.يوسف عليمات، (عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠٠٩)، ص٢.

٢١. النقد الثقافي، الصفحات ٧٨-٧٩.

٢٢. النقد الثقافي، ص٩٨.

٢٣. المصدر نفسه، ص٩٩.

٢٤. جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا، د.يوسف عليمات (المؤسسة العربية، بيروت، ٢٠٠٤) ص١٧٤.

٢٥. ديوانه، الصفحات ١٧، ١٩، ٢٣، ٢٦.

٢٦. ديوانه، اعتنى به: عبدالرحمن المصطاوي (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦)، ص٣٧.

٢٧. شرح المعلقات السبع، ص٢٢٥.

٢٨. جماليات التحليل الثقافي، ص٢١١.

٢٩. ديوانه، ص٤٠-٤١.

٣٠. القاريء والنص، ص٩٣.

٣١. ديوانه، اعتنى به وشرحه: عبدالرحمن الصطاوي، (دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥)، ص١٤٩.

٣٢. ديوانه، ص١١.

٣٣. الشعر والشعراء، ابن قتيبة (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١)، ج١/ ص١٨-١٩.

٣٤. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، الحسن ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد (دار السعادة، مصر، ١٩٥٥)، ج١/ ص٢٠٦.

٣٥. ينظر: الخطاب الشعري الجاهلي (رؤية جديدة)، د.حسن مسكين (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠٠٥) ص٢٤-٢٩.

٣٦. الطلل في النص العربي، سعد حسن كموني (دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٩)، ص١٤.

٣٧. الطلل في النص العربي، ص٢١.

٣٨. ديوانه، ص١٢.

٣٩. ديوانه، ص٢٧.

٤٠. ديوانه، ص٦٥.

المَصـادِرُ وَالمَـراجِـع

- القرآن الكريم.

- الانتماء في الشعر الجاهلي، د.فاروق أحمد أسليم (اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨).
- جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا، د.يوسف عليمات (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤).
- الخطاب الشعري الجاهلي (رؤية جديدة)، د.حسن مسكين (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠٠٥).
- ديوان الأعشى الأكبر، اعتنى به وشرحه: عبدالرحمن الصطاوي، (دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥).
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: د.درويش الجويدي، (شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨).
- ديوان زهير بن أبي سلمى، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥).
- ديوان طرفة بن العبد، اعتنى به: عبدالرحمن المصطاوي (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦).
- ديوان عنترة بن شداد، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤).
- ديوان لبيد بن ربيعة، اعتنى به: حمدو طماس (دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤).
- الرؤى المقنعة (نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي)، كمال أبو ديب (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦).
- شرح المعلقات السبع، عبدالله الحسن بن أحمد الزوزني، تحقيق: محمد عبدالقادر الفاضلي، (شركة أبناء شريف الأنصاري، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨).
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١).

- الطلل في النص العربي، سعد حسن كموني (دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٩).
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، الحسن ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد (دار السعادة، مصر، ١٩٥٥).
- القاريء والنص (العلامة والدلالة)، سيزا قاسم (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢).
- لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي (المركز الثقافي العربي، بيروت،١٩٩١).
- المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة ، زكي الميلاد (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠٠٥).
- مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تأليف: دوني كوش، ترجمة: د.قاسم المقداد (اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢).
- النسق الثقافي قراءات ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، د.يوسف عليمات، (عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠٠٩).
- النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، د.عبدالله الغذامي (المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥).

Abstract

This research titled (Simeotiqa ruins Drift culture in poetic discourse), Looking for pattern effects in the formation of cultural vision of the Pre-Islamic poet, Proceeding from the fact that the culture it work invisibly, And be present in all the discourses, Nor delivers poetic discourse of this process, Especially if we are in the process of the era such as the pre-Islamic era, The poet more Souka culture community, From here we see that the remembrance of the ruins in the initiation poems not only do culture, Ideas being discussed in the introduction to the poems are taking priority of the depth of culture, So try searching to answer this question: Why did the poet mention the ruins first, and then addressed the other issues?